Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى الشعراء الأفذاذ يقع عبء تجديد دم اللغة ، وإمدادها بالحيوية التى تكفل لها التطور ، والاستمرار . ومُتلقّو الشعر يقبلون فى الشعر ما لا يقبلونه فى غيره ، سواء أكان ذلك على مستوى الدالّ ، أم على مستوى المدلول . إن الذين استمعوا إلى النابغة الذبيانى – مثلا – عندما أنشد [١] :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتْـهُ وَاتَّقَتْنَـا بِالْيَـدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يكادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يُعْقَدِ
نَظَرَتْ إليكَ بِحاجةٍ لَمْ تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيمِ إلَى وُجُوهِ الْعُوَّدِ

طربوا لهذا القول ، وقبلوا هذه الصورة التى أنشأها من سقوطِ نصيفٍ لم يُرد إسقاطُه ، وتناولِه مع الاتقاء بيدٍ مخضَّبة تشبه أصابعها ذلك العَنَم اللّطيف الذى يمكن عَقْدُه لرهافته ونعومته . وسمحوا له بالمخالفة اللغوية فِى نُطْق الفعلِ « يُعْقَد » على غير الطريقة التى يُنطق بها فى النثر [٢] .

وإذن ، كان هذا المدلول – مع بساطته الظاهرية – مقبولًا ؛ لأنه – فى الشعر وحده – يحمل دلالات تتكاثف عن طريق مدلولات أخرى فى السياق ، وتولد دلالة أعمق عن طريق التضافر مع غيرها . وكان هذا الدالّ مع مجاوزته أو انحرافه عن سنن لغة النثر مقبولا كذلك ؛ لأنّ الشعر يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره كما قرر القدماء ، وقد جسّد المحدثون الفرق بين الشعر والنثر بمصطلح « المجاوزة » أو « الانحراف » – بمعنى المخالفة والميل – « وبعنى أن شعرية اللغة تقتضى خروجها الفاضح على العرف النثرى المعتاد ، وكسر قواعد الأداء المألوفة

---

(١) ديوان النابغة الذبيانى ص : ٤٠ (تحقيق وشرح : كرم البستانى -- دار صادر) .

(٢) حاولت فى بحث آخر أن أثبت أن الشعراء كانوا ينشدون ما يسميه العروضيون إقواء فى الشعر بما يتوافق مع حركة الروى فى القصيدة . انظر : « حركة الروى فى القصيدة العربية وقضية الفصل بين الشعر والنثر فى التقعيد النحوى » مجلة المجمع اللغوىّ العدد ٥٣ .